السيكومتري

Psychometry

تقصي الأثر في لوحة الفضاء والزمن

ليس المقصود بالسيكومتري هنا ما يعنيه السيكولوجيون من قياس مدة الحالات أو العمليات العقلية وعدتها ، ولكن المراد بها هو تقصي أثر شخص بطريق سلعة من سلعه ، وذلك بأن توضع السلعة في يد الوسيط المتقصي أو على جبهته أو مقابل ضفيرته الشمسية . فاذا كان وسيطاً قديراً استطاع أن يدلي ببيان يتضمن تاريخ تلك السلعة وتاريخ صاحبها وما يتعلق به ، وقد يذكر شيئاً من مستقبله . وقد يتحدث الوسيط كذلك عن كل من لمس السلعة دون أن يخلط بين شخص وآخر ممن يكونون قد تناولوها بأيديهم .

ولم يعترف العلم بظاهرة السيكومتري هذه الا في سنة ١٩٤٠ حين تقدم الدكتور هتنجر Dr. Hettinger إلى جامعة لندن برسالته «القوة فوق المدركة The Ultra Perceptive Faculty» لنيل درجة دكتور في الفلسفة Ph. D. فنحته اياها وطبعت رسالته على نفقتها . ونجد في هذه الرسالة بحثاً مستفيضاً وتحليلاً دقيقاً لهذه الظاهرة . وقد روعي الأسلوب العلمي في هذا البحث إلى أبعد مدى . وقد وضحت الرسالة بجداول احصائية وخطوط بيانية ومعادلات جبرية خرج منها المؤلف بأن الظاهرة حقيقية في ذاتها ، وان كان قد ترك التعليل لها معلقاً .

التجريب العلمي

وقد تناول الدكتور هتنجر تاريخ التجريب في هذه الظاهرة فقال : —

(١) إن معظم التجارب التي أجريت في الماضي كانت عرضية وصل البحّاث منها بطريق الاستنتاج والاستقراء الى القول بأن لهذه القوة السيكومترية وجوداً حقيقياً . وانتهى هؤلاء البحّاث إلى أنه ما دام قد ظهر أن عدداً كبيراً من التجارب التي أجروها ينم عن حقيقة

وأن وسائل الادراك العادية لا يمكن أن تعلل للظاهرة ، فلا بدَّ إذاً من وجود قوة أخرى خارجية هي التي يصح أن تنسب اليها هذه الظاهرة . ويرى الدكتور هتنجر أن المشاهدات التي من هذا الطراز لا يمكن اعتبارها متضمنة برهاناً علميًّا .

(٢) أجريت تجارب بقصد تعيين كم من المواد أو البنود التي يدركها الوسطاء يكون صحيحاً ، ودوّنت النتائج على صيغة نسب مئوية من مجموع المواد التي أدلوا بها — الصحيح منها وغير الصحيح . ومع ذلك فلم تعتبر هذه النسب المئوية مهما كانت مرتفعة دليلاً على القدرة السيكومترية .

(٣) لاحظ بعض البحّاث أن السلع المقدمة للفحص تختلف كثيراً من حيث الأهمية والنوع . وقد اختلفت من ثمَّ تقديراتهم ، ولكنهم بنوا احصائياتهم على هذا الأساس . ولطريقة « التقدير » تلك عيوبها التي تقعد بها عن تقديم البرهان الحاسم المطلوب .

وذكر الدكتور هتنجر أسماء المؤلفات المتضمنة تجارب تدخل في نطاق هذه الأقسام الثلاثة سالفة الذكر ، وقد صدرت هذه المؤلفات في المدة ما بين سنة ١٨٤٢ وسنة ١٩٣١ ، وهي ما بين انجليزية وأمريكية وفرنسية وايطالية وألمانية .

(٤) وعاد الدكتور هتنجر فقال : إن بعض الحالات السيكومترية المدوّنة في هذه المؤلفات تتضمن أحداثاً خطيرة يصح اعتبارها شاذة من حيث قيمتها . ومع ذلك لم يشأ أن يعتبرها برهاناً على وجود هذه القوة .

(٥) يقول الدكتور هتنجر إنه على الرغم من أن ارجاع النسب المئوية للصحيح من هذه التجارب التي تضمنت ادراك أمور غريبة أو معرفة شاذة لحقائق واقعية — على الرغم من أن هذا يميل بالباحث الى ناحية الاقتناع ، فان كثيرين من البحاث يرون أن هذا غير كاف . وهم اعجزهم عن فهم كيف أن الوسيط يدرك أمثال هذه الأمور يفسرون ذلك للمصادفة . والمصادفة أمر جائز في الواقع ولكن تجارب الدكتور هتنجر قد روعي فيها سد هذه الثغرة ومن ثمَّ أمكن استبعاد المصادفة .

(٦) راعى الدكتور هتنجر هذه العوامل كلها ، ومضى يجرب بطرائق متعددة متباينة تفرعت كل واحدة منها من التي سبقتها ، أي أن التجربة اللاحقة كانت تطوراً لتجربة سابقة

وذلك بالتغلب على جميع المآخذ أو أوجه النقص التي لوحظت في سابقتها ، فأمكن الوصول في النهاية إلى تجارب تخطت بقدر الإمكان كل نقد .

وظلت التجارب احصائية على طول الخط برغم تغير الأسلوب بالتدريج ، وبذل مجهود لجعل الاحصائيات بسيطة بقدر الامكان وبحيث يمكن استخلاص النتائج منها على الفور ونذكر فيما يلي النقط الهامة التي راعاها الدكتور هتنجر خلال تجاربه : —

ا — أي السلع هي الأفضل للحصول على خير النتائج ؟

ب — هل السماح للوسيط بتناول السلعة نفسها بدلاً من مظروف مختوم يحتوي عليها يؤدي الى نتائج أحسن أم أسوأ ؟

ج — هل من الضروري أن يتناول الوسيط السلعة بيده ، وهل يمكن الحصول على نتائج بدون تناول أي شيء البتة ؟

د — هل معلومات المجرب الشخصية عن الأشخاص الذين تُستقصى آثارهم من سلعهم تعطي نتائج أحسن من تلك التي يحصل عليها من سلع أشخاص مجهولين منه تماماً أم لا ؟ ويلاحظ أن المجرب غير الوسيط .

هـ — إذا سبقت سلعة لمجرب بقصد تقصي أخبار صاحبها فأبقاها عنده عدة أيام قبل أن يسلمها للوسيط فهل الأنباء المستقاة بوساطتها تتمحور على صاحب السلعة نفسه دون المجرب أم تكون خليطاً بين ما يتعلق بهذا وما يتعلق بذاك ؟

و — من الأشخاص الذين تتقصى آثارهم يتباينون فيما بينهم من حيث الوسطاء الذين يقومون بعملية التقصي من هذه السلع ؟

ذلك كان الدستور الذي وضعه الدكتور هتنجر لتجاربه التي شرحها في كتابه « القوة فوق المدركة » مالف الذكر . وقد ختم كتابه بهذه الكلمة . قال :

« إن الرأي المبسوط في هذا الكتاب قد لا يفي بإشباع نهم المتطلع ، ولكن كاتب هذه السطور لا يجرؤ في الوقت الحاضر على المضي إلى أبعد من ذلك . وان لضيق بطاقات يمنعه من الاجتراء على تقديم أي نوع من الحدس الذي ربما يكون قد جال بخاطره خلال هذا البحث . وهو يرى أن لابدّ من الضيق بالبطاقات لأن مجرد الحدس لا يمكن أن يشبع

التطلع العلمي إشباعاً تامّاً . ويدل تاريخ العلوم المطردة التقدم على أن النظريات الحدسية تجيء وتذهب ، ولكن الوقائع تبقى . لهذا يجب أن نلصق بالحقائق الواقعية هذه كما تثبت واحدة منها بعد أخرى ، ولنستخدم هذه الحقائق استخداماً انشائيّاً للعثور على غيرها .

« إن التناول السيكولوجي للبحث الروحي قد أدّى الى بعض نتائج هامة ، فلنمض في سبيلنا على نفس النمط واثقين انه سيتلو ذلك ظهور كشوف أخرى قيمة . ولقد كانت البداية مبشرة . ويبدو أنه لن يمر زمن طويل ، إذا نحن بحثنا في الظواهر الروحية ذات الصبغة النفسية ، حتى يتوطد البحث الروحي تماماً كفرع خاص من السيكولوجيا أو علم شقيق لها »

هذا هو ماختم به الدكتور هتنجر كتابه ، ومنه يتضح أن الظاهرة حقيقية ولكنه لا يستطيع التعليل لها . وقد كانت السيكولوجيا تنكر هذه الظاهرة كما كانت تنكر ظواهر التلبثي والجلاء البصري والجلاء السمعي ، وهي تلك الظواهر التي اعترف بها العلم أخيراً كما اعترف كذلك بالسيكومتري . والظاهر أن عجز الدكتور هتنجر أو احجامه عن التعليل راجع إلى تقييده نفسه في بحثه بالعلوم المادية وفي مقدمتها السيكولوجيا بشكلها الحاضر ، اي السيكولوجيا المادية التي تنكر الروح . ويا عجباً لعلم النفس الذي ينكر وجود النفس !

أمثلة سيكومترية

ننتقل بعد هذا الى ذكر أمثلة توضيحية تقرّب الظاهرة الى الأذهان فنقول :—

(١) يروي العلامة أوسبورن Osborn في كتابه النفيس « ما فوق الفيزيقي The Superphysical » حادثة عن وسيط اعتاد هو أن يجري معه بنفسه تجارب سيكومترية . في ذات مرّة وضع في يد ذلك الوسيط خطاباً ولم يمكنه من رؤية ما فوق المظروف من كتابة ؛ فقال له الوسيط : « يشعرني هذا الخطاب بعهد الشباب . . . ومع ذلك فان الكاتب له امرأة ذات شعر أبيض . وأراها تسير ليلاً في حجرة . وها هي ذي تجلس معرقة نفسها في تفكير عميق . هي سيدة بشوش . . . هي أحياناً تفيض حناناً يستدر الدمع من العيون . . . وهناك أيضاً رجل متقدّم في السن ، ذو شارب أبيض ولحية بيضاء لطيفة . ويخيّل إليّ أنهم ينادونه يا دكتور . ولكنه على ما أرى من أهل الفنون . . . أرى أنه قد كتب للمجلات مقالات كثيرة في الادب والنقد وما إلى ذلك . فهو يكتب كثيراً وأعتقد أنه

يحاضر كثير كذلك . وهو متوسط الحجم ، لا ضخم الجثة ولا ضئيلها . وليس لجسمه مظهر خاص ، أما رأسه وعيناه وملامحه العامة فذات مظاهر خاصة . إنه يتعصب لرأيه ، ويفرط في حبه لوطنه حتى لقد يبذل حياته في سبيل بلاده » .

وعقب أوسبورن على ذلك بقوله « والخطاب كتبته لي وأنا في استراليا صديقة في انجلترا . وقد صدق الوسيط في وصفه ملامحها ، فشعرها أبيض ، ولكنها رقيقة وفيها جمال الشباب . وصدق كذلك في وصفه ملامح الرجل ، وكان دقيقاً للغاية في وصفه سجاياه . والرجل والسيدة من أهل الفن والأدب حقيقةً . وهو كاتب مفكر مبتكر في تفكيره وابتكاره . على أني لم أتبين فيه أية نزعة من نزعات التعصب ولكنه من أصل روسي ولهذا فربما كان مزاجه أحدّ من المزاج الانجلوسكسوني » .

ويقول أوسبورن عن هذا المثل السيكومتري انه قد يكون خطيراً ولكنه غير مقنع لعدم امكان استبعاد التلبثي منه . ويقول ان الوسيط ربما يكون قد استخلص منه هذه المعلومات لا من الخطاب ، وهو لا ينكر أن ذلك في ذاته عظيم ولكنه لا يساعد على إثبات ما يريد . على أنه قال مع هذا « أرى لزاماً عليّ أن أذكر هنا أنني لم أنجح قط في التواصل مع هذا الوسيط بالتلبثي على الرغم من محاولتي ذلك في عدّة ظروف » .

(٢) وفي الحادثة التالية التي يرويها ماترلنك يمكن أن يقال ان فكرة التلبثي قد استبعدت تماماً ، أو هي استبعدت على الأقل بين راوي الخبر والوسيط المتقصي الأثر . قال ماترلنك في كتابه « الضيف المجهول » ما يأتي : —

« تسلمت من انجلترا خطاباً يرجوني فيه كاتبه أن أكتب له كلمة بخطي ... وكان الخطاب رقيقاً خالياً من الصنعة وليس فيه ما ينم عن كاتبه . ودون معرفة البلد الذي جاءني منه الخطاب وضعته في مظروفه بعد أن أريته لزوجتي ، ثم حملته الى مدام . . . وبدأت هذه السيدة تقصيها بأن وصفتني أنا وزوجتي ، فقد لمسنا نحن الاثنين الورق . وسألناها أن تتركنا وتنتقل الى كاتب الخطاب . فقالت ان الكاتب فتاة في الخامسة أو السادسة عشر لم تتعدَّ بعد طور الطفولة . وقد كانت صحتها بين بين ، أما الآن فهي في صحة جيدة جداً . وكتبت الفتاة الخطاب وهي في حديقة غناء أمام بيت كبير فخم مبني وسط تلال الريف .

وجلست تداعب كلباً كبيراً مجعّد الشعر طويل الأذنين . ومن بين غصون الأشجار كان يظهر لها البحر ... هذا هو ما قالته الوسيطة . وقد وجدنا بعد التحري أن هذه التفصيلات كلها حقيقية تماماً . ولم يكن الخطأ إلاّ في الزمن كما هي العادة ، فالفتاة وكلبها لم يكونا في الحديقة في اللحظة التي رأتهما فيها الوسيطة » .

في هذه الحادثة لا نستطيع أن ننسب استقاء المعلومات الى قراءة الوسيطة بالتليثي ما يكون دائراً في خلد مارلنك وزوجته لأنهما لم يكونا قد عرفا بعد شيئاً عن كاتب الخطاب. فهل نستطيع إذاً أن نقول أن الخطاب نفسه يحمل بطريقة غامضة طابعاً لمميزات كاتبه ووسطه ؟ وإذا كان هذا صحيحاً فهل يكون المنظر والحالة قد انطبعا كذلك في الخطاب وقت كتابته ، ويكون الخطاب قد نقل ذلك كله الى الوسيطة فتحدّثت عنه ؟ ان مارلنك روى الحادثة فقط ولم يحاول تفسيراً .

(٣) أما الحادثة التالية فيتبين منها أن الوسيط حصل من خطاب على آراء كاتبه وأفكاره ومشاعره وعواطفه ساعة كتابته . وهذه الحادثة إحدى تجارب الدكتور باجنستشر Dr. Pagnstcher في السيكومتري على الوسيطة الشهيرة السنيورا ماريا ريس دي ز Senora Maria Reyes de Z وهي سيدة مكسيكية لها مكانتها في المجتمع . وقد دوّنت هذه الحادثة في صحيفة جمعية البحوث الروحية البريطانية بالصفحتين ٢١٨ — ٢١٩ من المجلد الحادي والعشرين كما يلي : —

« الدكتور باجنستشر صديق في اليابان أرسل الى محامٍ في مدينة المكسيك مظروفاً يحتوي على خطاب منه للدكتور باجنستشر ومظروفين مختومين يحتوي أحدهما على ورقة كتبت في ظرف حرج ، ويحتوي الثاني على وصف لمن ظنّ انه كاتب هذه الورقة . وقد طلب كاتب الخطاب الى الدكتور باجنستشر أن يقدم المظروف الأول الى السنيورا ماريا على أن لا يسمح بفتح المظروفين إلاّ بعد انتهاء الجلسة . وأجيب الكاتب الى ما طلب . وحضر تلك الجلسة كل من الدكتور باجنستشر والدكتور برنس . وتحدّثت السنيورا عن سفينة وسط بحر في ليل بهيم ، وعن ركابها الكثيرين الفوضى الذين يتحدّثون بالانجليزية وقد تمنطقوا بأحزمة الخطر . ثم جعلت تصف في شيء من التفصيل رجلاً له فوق حاجبه الأيسر

نديبة جرح ، ينزع ورقة من مذكرة جيب صغيرة ثم يكتب عليها ، وما إن سمع صوت انفجار حتى وضع الورقة في زجاجة ثم رمى بها في البحر . ولما أزيلت الأختام في حضور الدكتور برنس والدكتور باجستشر عرفت الحقائق الآتية ، وكانت حتى ذلك الوقت مجهولة من الحاضرين كلهم : —

« فأما المظروف المقدَّم للسنيورا فكان يحتوي على ورقة كأنها نزعت من مذكرة جيب، وقد كتب عليها بسرعة وبلغة اسبانية ما ترجمته :

« السفينة تغرق . وداعاً يا عزيزتي لويزا . اعملي على أن لا ينساني أولادي .

زوجك رامون

« هافانا — أسأل الله كذلك أن يرعاني ويرعاك . وداعاً » .

« وقد وجدت هذه الكتابة على ورقة في زجاجة التقطت بجوار شاطىء الآزور . ومن التحريات التي أُجريت في هافانا علم أن هذا الرجل الذي لأسباب سياسية أقام هناك باسم رامون ب . Ramon B. قد اختفى سنة ١٩١٦ ، ويشبه خطه كل الشبه الخط المكتوب في تلك الورقة التي وجدت في الزجاجة ، وأن له زوجة تدعى لويزا ، وأن له منها بنين . ويظن انه غادر هافانا الى أوروبا . واعتقدت زوجته أنه لقيَ حتفه في حادث غرق الباخرة لوزيتانيا أما شكه بما في ذلك نديبة الجرح فينطبق بالضبط على الوصف الذي ذكرته السنيورا »

(٤) ويروي الدكتور ولز Dr. Wills عميد كلية العلوم والبحوث الروحية بالولايات المتحدة في كتابه « الحياة الآن وإلى الأبد » قصة خلاصتها أن شخصاً قصد الوسيطة الأمريكية الشهيرة مسز مدلتون هجنز Mrs. Middleton Higgins يسألها أن تحدثه بشيء عن أبناء أخيه المتغيب . ولما سألته أن يجيئها بسلعة من صنعه جاءها بقبعته . وما إن أمسكت بها حتى مضت تصفه في دقة متناهية ، ثم قالت انه كان يسير ليلاً بجوار النهر فزلت قدمه وهوى فيه وغرق . وقالت ان التيار قد جرفه وان جثته قد احتجزت بين صخرتين ، وأبدت استعدادها لتعيين مكان الجثة إذا هي ذهبت الى النهر . ولما عجز البحّاث عن العثور على الجثة برغم اتباعهم كل وسيلة ممكنة عادوا اليها فصحبتهم الى النهر ، وهناك وقفت عند نقطة قالت إن الجثة هنا . فاستعملوا شباك الصيد ولكنهم لم يفوزوا بطائل . فسألتهم أن يجيئوا

بسارية طويلة وتحسسوا بها ما بين الصخور ، وسرعان ما لمست السارية شيئاً طرياً أملس ، واكتشفت الجثة على الفور ، وقد وجد الرأس محجوزاً فعلاً بين صخرين ذومت الجثة هناك . ويلاحظ أن الوسيطة لم تكن لها معرفة سابقة بأي شخص من الذين شهدوا الحادث أو كانت لهم صلة بالغريق .

ثلاثة فروض نظرية

يتضح من هذه الأمثلة أن السلعة المادية كانت العامل الأكبر في التقمي ، وأنه بدونها ما كان يمكن الانتفاع بقدرة الوسيط المتقمي . فماذا يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ لقد قدم البحاث ثلاثة فروض وناقشوها كما يلي : —

(١) إن السبب في حصول الوسيط على المعلومات من السلعة مع خلوّها من كل ميزة خفية هو أن حواس الوسيط أرهف من حواس غيره ، أو أنها تكون في الحالة التي يسميها السيكولوجيون حالة « زيادة الحس » .

(٢) أن تكون السلع قد امتصت فيها طابع الحوادث كما تستبقي الالوحة الفوتوغرافية صور المرئيات .

(٣) إن السلع ليست مصدر هذه الرؤى برغم تأثرها بالطاقات النفسية أو القوى الروحية ولكنها تعمل على جعل الوسيط يستجيب للاشخاص الذين لمسوا السلعة ولما جرى من أحداث .

فأما عن الفرض الاول فلا شك أن بعضهم يفسر به بعض الحالات فراراً من التفسير الروحي ، وخاصة في حالات الوسطاء المنوّمين تنويماً مغناطيسيًّا . ولكن في الحالات التي نحن بصددها يكون الوسطاء غير منوّمين . وقد يستطيع الوسيط الحاذق بمجرد فحصه خط الكاتب أن يستنتج بعض المعلومات الغريبة المدهشة بغير طريق ذلك الحس المرهف اللهمّ إلا إذا اعتبرنا الفراسة المكتسبة من تجاريب الحياة حسًّا مرهفاً . وبرغم أن « زيادة الحس » المزعومة هذه مجرد مصطلح سيكولوجي مائع فإن السيكولوجيين مازالوا يزحون به كثيراً وإلى أقصى حد كتفسير لمثل هذه الأحداث ولكن الفاحص لحالات السيكومترية

المتعددة المتباينة يستطيع أن يقنع نفسه بأن هذا الفرض النظري البحت (على أقل تقدير) لا يمكن تطبيقه على غالبية الحوادث. ولا جرم أن كمية الأنباء التي تستطيع سلعة أن تفصح عنها لا بد أن تكون محدودة. فاذا كان هذا الشخص يرهف الحواس. وعدا هذا فمسألة «زيادة الحس» هذه إذا صلحت أن تكون تفسيراً لمعرفة السجايا من مجرد قراءة الخط مثلاً فهي لا تساعد على أن تفسر كيف أن الوسيط يصل الى معرفة ما يكون قد وقع لكاتب خطاب مثلاً من حوادث بعيدة أو قريبة، وربما يكون بعضها قد وقع قبل كتابة الخطاب بل حتى قبل التفكير في كتابته. ولو أننا سلمنا بصحة هذا الرأي تفسيراً لبعض الحالات فإن اطلاقه على حالات كثيرة أخرى لا يكون عقلياً فحسب بل يكون مضحكاً أيضاً.

وأما الفرض الثاني فمن السذاجة بمكان، ولا يؤيده منطق الأمر الواقع، لأنه اذا كانت الأحداث تنطبع في السلعة انطباعاً فوتوغرافيًّا استطاع الوسيط أن يتقصى الأحداث التي تكون السلعة قد لعبت فيها دوراً. ولكن الحال ليس كذلك دائماً، فالمثل الرابع سالف الذكر المنقول من كتاب الدكتور ولرهام لسببين: أولهما انه يستبعد التفسير بالتلقي استبعاداً تامًّا. وثانيهما: أنه يقضي كذلك على الرأي القائل بأن السلع تتأثر بطابع فوتوغرافي لأن القبعة التي سعت لمسز مدلتون أخذت بالطبع من سلع الغريق الموجودة بالمنزل لا مع الجثة

واذاً لا يبقى أمامنا إلاّ الفرض الثالث لأنه أكثر الفروض احتمالاً. فالسلعة كانت الصلة الظاهرية. والمعلومات لم تجيء من السلعة بل من صاحبها مباشرة، لأن الوقائع حدثت للشخص صاحب السلعة التي كانت حلقة اتصال بين صاحبها وبين الوسيط، وهي التي مكنته من الاستجابة له والتوافق معه. وها هي ذي مسز مدلتون قد استطاعت أن تعرف حوادث تتصل بالرجل المفقود عن طريق قبعة لم تشترك في الحوادث.

هل تستبقي السلع طوابع روحية؟

وحتى لو أخذنا بالفرض الثالث فإنه تبقى لدينا مسألة أخرى هامة هي مسألة صلاحية الأجسام المادية لأن تكون حلقة اتصال بين شخصين. ترى ما الذي يحدث في السلعة المادية نتيجة لملامسة إنسان ايها؟ هل تتأثر تكوينها الالكتروني؟ لو أن هذا حدث لتوقعنا

ظهوره على صورة تغير كيماوي لأن الالكترونات والبروتونات هي في الجملة العناصر النهائية في الجزيئات والذرات الكيماوية، وإن يكن العلم قد أثبت وجود جسيمات أخرى غير الالكترونات والبروتونات. ولكن هذه الجسيمات لا تحتل من فضاء الذرة إلاّ بنسبة ما تحتله بضع هباءات من التراب في جوّ قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الاول مثلاً. وكما يقول العلامة إدنجتون أستاذ الفلك في جامعة كيمبردج في كتابه «طبيعة العالم الفيزيقي» «لو أننا محونا الفضاء الخلاء الموجود في جسم الانسان، وجمعنا إلكتروناته وبروتوناته لزاماً في كومة واحدة فإن الانسان يتحول إلى هباءة لا ترى إلاّ بعدسة مكبرة».

وهذا الفضاء بدوره أصبح لا يعتبر خلاءً خاوياً لأن الأثير يتخلل الفضاء والمادة معاً فهل يا ترى يتأثر ذلك الأثير الموجود في سلعة ما بالمؤثرات النفسية الروحية؟ ولكن الأثير لا يمكن تحديده برغم أنه مكننا من تفسير بعض الظواهر، وليس ثمة في الأثير ما يدفعنا إلى القول بأن أثير السلعة يستطيع أن يستبقي الطوابع الروحية. وإذاً فأين يمكن أن تستبقى هذه الطوابع إن كانت تستبقي حقيقةً؟ ليس أمامنا كما يقول العلاّمة أوسبورن إلاّ ذلك الفضاء الالكتروني الذي ربما كان مقرّاً لانواع من الطاقة لم تعرف بعد حتى ولم تتخيل، وأن لانواع هذه الطاقة اهتزازاتها الخاصة التي يدركها بعض الوسطاء، ثم يترجمونها بدلالة ما يكون قد تمّ من أحداث ونشأ من آراء.

***

وقد رأينا من الأمثلة التي ضربناها أن الوسيط لا يمكن أن يستخلص كل معلوماته من السلعة نفسها، وإن تكن هي العامل الأكبر في استخلاص المعلومات، وإذاً فكأن الاستجابة إلى اهتزازات هذه الطاقات النوعية للسلعة تمكن الوسيط أيضاً من الاستجابة الى اهتزازات العامل الأكبر في إيجاد هذه الطاقات ألا وهو الشخص أو الأشخاص الذين لمسوا السلعة وبمجرد حدوث هذا الاتصال المباشر بهؤلاء ينتهي عمل السلعة.

«يتبع» أحمد فهمي ابو الخير